الاتجاهات العالمية للأدب المقارن
وتأثيرها فى الاتجاه المصرى

بقلم الدكتور
محمد السيد عيد

١ ـ توطئة :

ربما لم يلق فرع من فروع المعرفة من الاضطراب فى مفهومه ، وعدم التحديد فى مناهجه واتجاهاته ما لقى الأدب المقارن ، فعلى الرغم من مضى ما يقرب من قرن على استوائه فرعا من فروع الدراسات الأدبية المعترف بها فى كثير من البلدان فإن المشتغلين به لا يزالون أبعد ما يكونون عن الاتفاق على كلمة سواء . ولعل هذا الخلاف يرجع إلى أن مفهوم الأدب المقارن ظهر مرتبطا بالنزعة القومية الأوربية فى القرن التاسع عشر . ومنذ ذلك الحين وحتى الآن ظهرت اتجاهات فى دراسة الأدب المقارن أطلق عليها ـ أحيانا ـ مدارس الأدب المقارن . وليس هناك فارق كبير بين « اتجاه » و « مدرسة » ولعل الأول يعنى المنحى الذى يسير عليه جماعة من المفكرين والأدباء فى إتباع نمط معين من التفكير والتعبير والثانى « مدرسة » يعنى أن يكون هناك أساس فلسفى يصدر عنه الأديب والناقد أو المفكر فى الإبداع والنقد والتحليل ، فالاتجاه الواحد تشابه فى الطريقة والأسلوب المتبع ، والمدرسة التزام بفكر خاص على أساس قواعد معينة لا يحيد عنها صاحبها إلا نادرا .

والأدب المقارن لم يلتزم باتجاه واحد ولا بمدرسة معينة وإنما كان لكل ناقد رأيه الخاص الذى يصدر عنه ، إلا أنه يغلب ـ أحيانا ـ وجود طابع متشابه يضم مجموعة من الباحثين فى مجال الدراسات المقارنة ، فإذا تحدثنا

عن الاتجاه الفرنسى أو الأمريكى فإنما نقصد ، السمة الغالبة ، ولا يعنى هذا — بالضرورة — أن كل الفرنسيين أو الأمريكيين يجمعهم رأى واحد تجاه الأدب المقارن إذ لم يعد هناك اتجاه قاصر على بلد من البلدان وإنما هى آراء مختلفة تجد لها — غالبا — مؤيدين ومعارضين . إلا أنه يمكن القول أن المنحى العام للدراسات الفرنسية المقارنة إتبع — فى البداية — المنهج التاريخى. وهذا يخالف المنهج الأمريكى الذى إتبع المنهج النقدى ، وسوف نوضح ذلك بعد قليل .

ولما كان الأمر كذلك تجنبنا الأخذ بالقول بمدارس الأدب المقارن. وآثرنا أن نقول : اتجاهات الأدب المقارن ، لأن الاتجاه يمكن أن يكون لفرد واحد ويمكن — كذلك — أن يكون لجماعة . ويمكن أن يظهر فى بلد ثم يسود فى بلد آخر .

وسوف نحاول — هنا — أن نوضح تلك الاتجاهات العالمية بادئين بالاتجاه الفرنسى لما كان له من أثر على كل أوربا منذ القرن التاسع عشر ولا يزال له مؤيدوه حتى الآن .

٢ — الاتجاه الفرنسى :

يرى بعض الباحثين[1] أن الأدب المقارن فرنسى المولد والنشأة وهذا رأى له ما يبرره ، فقد كانت فرنسا بمثابة الوطن الأم للدراسات الخاصة باللغات الرومانية التى تفرعت عن اللغة اللاتينية ، وهى اللغة التى كانت سائدة فى معظم دول أوربا أثناء القرون الوسطى، وكانت اللاتينية لغة العلم واللاهوت ولغة المثقفين ورجال الدين فى القرون المسيحية كلها حتى عصر النهضة الأوربية . لذلك كان الفرنسيون من أول المهتمين بالتراث المشترك

(١) انظر دكتور رجاء عبد المنعم جبر تاريخ الأدب المقارن ص ١٢٢ .

بينهم وبين شعوب القارة الأوربية ، واهتم ملوك فرنسا وأمراؤها بالأدب والدراسات الأدبية وجعلوا من باريس عاصمة للأدب فى أوربا كلها بسبب ماتتميز به العقلية الفرنسية من قدرة كلاسيكية على التنظير ، كل ذلك مكن فرنسا من أن تفرض فى القرن التاسع عشر ـ مفهوما للأدب المقارن يلتقى ـ جزئيا ـ مع أكثر الاتجاهات السائدة فى الأقطار الأوربية مما يسر لهذا المفهوم أن يكسب لنفسه أرضا جديدة فى أكثر البلاد الأوربية معبرا بذلك عن اتجاه أوربى فى الأدب المقارن(١) .

قام الأدب المقارن فى فرنسا ومنها إنتقل إلى معظم الدول الأوربية على أساس فكرة إتصال الثقافات بعضها ببعض وتبادل التأثيرات فيما بينها وتعود الكتابات الأولى فيه إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث أخذت فرنسا تتقبل بالتدريج فكرة الأدب الذى لا ينتمى لبلد بعينه أو عصر بذاته وخاصة بعد أن أصدرت مدام دى ستال (Mabam de Stael) كتابها عن ألمانيا سنة ١٨١٠ م وذكرت فيه : « لابد للأمم أن تتواصل فيما بينها ... ومن الخير للأمة أن ترحب بالأفكار التى ترد إليها من الخارج فإن الأمة المضياف فى هذا الخصوص هى التى تغنم أكبر الغنم »(٢) .

وكان من أهم أسباب ازدهار الأدب المقارن فى فرنسا فى القرن التاسع عشر هى :

١ — سيادة الروح العالمية التى وجدت فى أوربا منذ مطلع القرن وهى روح تؤمن بالتقارب والانفتاح ، وتنكر الانحصار والانعزالية .

---

(١) عبد الحكيم حسان : الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسى والأمريكى مجلة فصول ج ٣ ع ٣ لسنة ١٩٨٣ ص ١١ .

(٢) دكتور شوقى السكرى : مناهج البحث فى الأدب المقارن ، عالم الفكر العدد الثالث لسنة ١٩٨٠م ص ٢٤ وانظر كذلك :

Madam de staél : Ueber Dautschland, S. 15 .

٢ ـ بدأ انحسار الذوق الكلاسيكى ، وهو ذوق يؤمن بالتعصب القومى والثقافى ، فقد أخذ الفرنسيون يكفون ـ بعض الشىء ـ عن دعوى تفوق ذوقهم ومحاولة فرضه على أوربا ، وأصبح الناس يعترفون بنسبية الذوق وتعدده نتيجة لانتشار مقولات المناخ والإقليم التى قال بها عديد من الكتاب والعلماء لتفسير أشكال التفاوت بين الشعوب ، كما أصبحوا فى تقدم يقدمون التذوق والفهم على الحكم والتقدير .

٣ ـ مولد عديد من القوميات التى أخذت تتعرف على ذاتها وموقعها داخل إطار الجماعة الإنسانية ، وقد وصف القرن التاسع عشر بأنه عصر القوميات الذى بعث الاهتمام بالتاريخ والتقاليد والتراث الشعبى ، وذلك لأن القوميات الجديدة التى انبثقت من الإمبراطوريات الكبرى ـ بدأت فى سبيل التعرف على ذاتها ـ بتحديد أدبها القومى ، فعكفت على تراثها الشعبى والحضارى وعلى لغتها وتقاليدها ، لتصنع منها جميعا أدبها الخالص ، والخاص والذى تتحدد ملامحه فى ضوء وضعه إلى جانب آداب الآخرين وتلك هى الخطوة الأولى نحو المقارنة .

٤ ـ ازدهار حركات الكشف الجغرافى والرحلة إلى المناطق المجهولة من العالم ، وتعرف الاستعمار ـ برغم سيئاته ـ على مجتمعات جديدة ذات حضارات وثقافات تختلف عن مثيلاتها الأوربية مما أدى إلى الإقبال على الحضارات الغربية ومقارنتها بالحضارات الجديدة فى المجتمعات الأخرى .

٥ ـ وجود المثال الذى يحتذى ، ونعنى به استعمال المنهج المقارن فى العلوم الطبيعية ـ وهو منهج يقوم على مقارنة الظواهر المتشابهة لإبراز الخصائص المشتركة واستنباط القوانين منها ، فقد وجد التشريح المقارن ، وعلم الفيزياء المقارن ، وعلم الأجنة المقارن كما وجد ـ فى الدراسات الإنسانية ـ علم الأساطير المقارن والتاريخ المقارن ، والجغرافيا المقارنة ، والنحو

المقارن[١] » والذى أشاع الاصطلاح فى فرنسان ، واهتم بالدرس المقارن للأدب هو الناقد الفرنسى : فيلليمان Villeman الذى ألقى محاضراته فى الأدب الفرنسى بالسربون عام ١٨٢٨ — ١٨٢٩ م تحت عنوان صورة الأدب الفرنسى فى القرن الثالث عشر (فى أربعة أجزاء) ، وتناول التأثير المتبادل بين إنجلترا وفرنسا وتأثير إيطاليا على فرنسا فى القرن الثامن عشر ، وذكر فيلليمان فى مقدمة الطبعة الجديدة (١٩٤٠) بأن محاضرته كانت أول محاولة تتم فى جامعة فرنسية (لتحليل مقارن) لعدة آداب حديثة[٢] .

ومن الرواد الذين أسهموا فى بناء الأدب المقارن هو جان أمبير ابن العالم الفيزيائى أمبير ، وكان يريد أن يحقق الدرس المقارن لكل الأشعار ، وكان يرى أن الأدب علم يقع بين التاريخ والفلسفة وأن فلسفة الآداب والفنون تخرج من التاريخ المقارن للآداب والفنون عند كل الشعوب ، وكان من المستعدين لقبول فكرة تفوق أدب آخر على الأدب الفرنسى ، يقول : « وإذا نحن وجدنا فيما سنقوم به من مقارنات أن أدبا أجنبيا يتفوق على أدبنا فى نقطة ما فسنعترف بتلك الميزة فنحن أغنى بمجدنا عن أن نأخذ مجد الآخرين ، ونحن أكبر من أن نكون غير منصفين »[٣] . كانت تلك جهود فردية — وظلت كذلك — حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر .

وفى سنة ١٨٩٠ أصبح الأدب المقارن من مواد الدراسة الأكاديمية فى الجامعات الفرنسية .

وفى سنة ١٨٩٧ كان هناك أول كرسى للأدب المقارن فى جامعة ليون Lyon شغله الأستاذ جوزيف تكست Texte ثم أنشىء كرسى آخر عام ١٩١٠ فى

---

(١) انظر : رجاء عبد المنعم جبر — المرجع السابق .

(٢) انظر رينية وليك : مفاهيم نقدية ، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة عدد ١١٠ ص ٣١١ .

(٣) رجاء عبد المنعم جبر ، المرجع السابق .

جامعة السربون ، ثم توالت المؤتمرات الأكاديمية والدراسات العلمية ، والمؤتمرات فى فرنسا وخارجها حتى تحدد مفهوم الأدب المقارن ، ومن أهم من أسهموا فى تحديد هذا المفهوم : فان تيجم Van Tigem الذى أخرج كتابا بعنوان الأدب المقارن (١٩٣١) عرف فيه بهذا الفرع من فروع الدراسات الأدبية وحدد فيه ميادينه ، وبين مناهج الدراسة فيه ، ثم جان مارى كاريه M. Carre وفرنسوا جويار فى كتيبه التعليمى الذى صدر فى منتصف هذا القرن (١٩٥١) مع مقدمة قصيرة لـ « جان مارى كاريه » عرض فيه لتعريف الأدب المقارن .

وسوف نعرض لمفهوم الأدب المقارن عند فان تيجم وجويار ثم جان مارى كاريه باعتبارهم أهم عمد المدرسة الفرنسية الحديثة الأدب المقارن إبان ازدهارها فى النصف الأول من القرن العشرين .

يحدد فان تيجم مفهوم الأدب المقارن فيقول : موضوع دراسة الأدب المقارن هو دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض[١] . فهو يحصر الدراسة المقارنة فى تقرير المشابهات والاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر ، وهذا ـ فى رأيه ـ هو نقطة البدء الضرورية التى تتيح لنا اكتشاف تأثير أو اقتباس أو غير ذلك وتتيح لنا بالتالى أن نفسر أثرا بأثر تفسيرا جزئيا .

ويرى جان ماكاريه « أن الأدب المقارن فرع من التاريخ الأدبى لأنه دراسة العلائق الروحية الدولية[٢] .

---

(١) فان تيجم : الأدب المقارن ، ترجمة سامى الدورى ص ٥٢ .

(٢) انظر : H.N.Fugen : vergleichende Literaturwiss, S.52

وانظر كذلك عبد الحكيم حسان ، المرجع السابق .

ويعرف جويار الأدب المقارن تعريفا قريب الشبه بالتعريف السابق فيقول أنه تاريخ العلائق الأدبية الدولية ، فالباحث المقارن يقف على الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب ، ومن ثم فإن منهجه فى البحث يتطابق مع تباين بحوثه .

من العرض السابق لمفهوم الأدب المقارن عند الرواد الأول للاتجاه الفرنسى يتبين لنا عدة حقائق :

أولا : أن التحديد الفرنسى للأدب المقارن تحديد تعوزه الدقة فما زال المفهوم يعانى من عدم التحديد بين الفرنسيين أنفسهم فقد تحدث فان تيجم فى كتابه « الأدب المقارن » وحاول إيجاد فرق بين الأدب العام والمقارن ، فرأى أن الأخير يدرس علاقات ثنائية ، أى علاقة بين عنصرين فحسب ، كتابين أو كاتبين أو طائفتين من الكتب أو أدبين كاملين . أما الأدب العام فيتمثل فى طائفة من الأبحاث تتناول الوقائع المشتركة بين عدد من الآداب سواء فى علاقتها المتبادلة أو فى انطباقها بعضها على بعض .

وهذا ما أخذه رينيه وليك من رواد المدرسة الأمريكية على فان تيجم ، وسوف نوضح ذلك عند عرضنا للاتجاه الأمريكى ،

ثانيا : أن المحور الأساسى فى المفهوم الفرنسى هو الانطلاق من الأدب القومى باعتباره المحور الذى تدور حـــوله الدراسة ، فمهما انتهت الدراسة المقارنة إلى آفاق عالمية فإن منطلقها يظل مع ذلك قوميا ، مع أن القومية — فيما يبدو — لا تزيد على أن تكون عاملا مصاحبا فى التمييز بين بعض الآداب من الوجهة الأكاديمية .

ثالثا : ضرورة وجود علاقة ثابتة للتأثير والتأثر بين الآداب موضوع المقارنة فتوارد الخواطر وتشابه الأفكار بين الأدباء لا يعد من الدراسة المقارنة .

رابعا : اختلاف اللغات بين الآداب التى هى مجال البحث المقارن يعتبر شرطا أساسيا لدى المدرسة الفرنسية ، فلا يدخل فى نطاق الأدب المقارن مايعقد من موازنات فى إطار أدب واحد سواء تضمن عنصر التأثير والتأثر أم لا كالموازنة بين مسلم بن الوليـــد وأبى تمام أو بين حافظ وعبد الرحمن شكرى أو بين حافظ وشوقى .

من ذلك يتبين أن المفهوم الفرنسى للأدب المقارن منذ نشأته عانى من عدد من أوجه القصور كعدم التحديد الدقيق ، والخضوع للنزعة التاريخية . والولوع بتفسير الظواهر الأدبية على أساس من حقائق الواقع ، وعدم التنسيق بين المنطلق القومى والهدف العالمى ، وكانت النتيجة الطبيعية أن احتلت العوامل المؤثرة فى الأدب المقارن المكان الأول من عناية الباحثين المقارنين ، فى حين احتل الأدب نفسه - وهو موضوع الدراسة - المكان الثانى وبالإضافة إلى ذلك فرض هذا المفهوم الفرنسى تجزئة العمل الأدبى أثناء دراسته ، بحيث لم تعد دراسته بوصفه عملا فنيا متكاملا أمرا ممكنا حسب المناهج وطرق التناول التى خططها الفرنسيون أصحاب الاتجاه التقليدى وبذلك استبعدت عملية التقدمن الدراسة المقارنة .

وإذا بحثنا عن السبب الذى حدا بالاتجاه الفرنسى السابق إلى هذا المنحى فى الدراسة المقارنة نجد أن ذلك ربما يمكن فى الظروف التى أحاطت بنشأة الأدب المقارن فى القرن التاسع عشر وهى سيطرة منهج البحث فى التاريخ وسيادته الفلسفة الوضعيه التى كان من أهم آثارها دراسة العلوم الإنسانية بنفس الطريقة التى تدرس بها ظواهر الكيمياء والطبيعة ، فقـــد تصور « برونتيير » تطور الأجناس الأدبية على أسس شبيهة بتطور الأجناس الحية فقد اتبع منهج العلم فى تطبيقه على الأدب المقارن فجمدت نظريته عند تطبيقه لها وجانبها الصواب لاتباعه حرفية العلم لا روحه ومنهجه العام ، ومن اليسير عنده أن يقول إن جنسا أدبيا تطور إلى جنس أدبى آخر كالفصائل الحيوانية

عند دروين دون دقة وفى تقييم سريع »[1] .

١ ـ ٣ ـ الاتجاه الفرنسى المتحرر :

فى الفترة التالية مباشرة لصدور هذه الكتب : « الأدب المقارن لفان تنجيم (١٩٣١) وهو يمثل قمة ازدهار المدرسة الفرنسية (التقليدية وكتاب الأدب المقارن لفرنسوا جوبار (١٩٥١) « شهد الأدب المقارن عقب ذلك تطورا كبيرا فى فرنسا فأدى ذلك إلى أن فقدت هذه الكتب صدق تمثيلها للواقع الجديد فقد أصبحت البحوث فى تاريخ الأفكار فى أوج انطلاقها ، وكانت لاتزال فى طور التكوين يوم ظهرت هذه الكتب وتقدمت بحوث علوم الاجتماع وزاد تدخل علم اللغة فى النقد ، وتدخل النقد فى الأدب المقارن مما نشأ عنه ظهور أشكال جديدة للتحليل والتركيب وفى سنة ١٩٦٧ ظهر كتاب جديد وهو كتاب الأدب المقارن للأستاذين كلود بيشوا وأندريه روسو وهو يمثل إلى حد كبير الاتجاه الفرنسى المتحرر ، حيث يلتقى فيه ماضى الأدب المقارن وحاضره وقد ترجمه إلى العربية الدكتور رجاء عبد المنعم جبر (١٩٨٥) وهو يركز على المبادلات الأدبية بين الأمم وعلى دور الرحالة والوسطاء والمترجمين والكتب ، ولكنه لم يفج من الاتجاه الفرنسى التقليدى القديم وهو الاهتمام بتاريخ الأفكار وبالبيانات الأدبية والجديد فيه أنه ينتقل بالأدب المقارن من دراسة العلائق الروحية الدولية والصلات الواقعية بين الأدب كما يقول جوبار وجان مارى كاريه ـ إلى دراسة العلاقات بين الأدب وفروع المعرفة والمعتقدات الأخرى وعلى الرغم من ذلك فقد خطا المؤلف خطوة كبيرة فى مجال الأدب المقارن ، ويبدو ذلك واضحا من خلال تعريفه له : « الأدب المقارن وصف تحليلى ومقارنة منهجية تفاضليه ، وتفسير تركيبى للظواهر الأدبية بين اللغات والثقافات ، من خلال التاريخ والنقد

---

(١) انظر : هلال : الأدب المقارن ص ٦٨ .

والفلسفية ، وذلك من أجل فهم الأدب بطريقة أفضل ، بوصفه وظيفة مميزة للروح الإنسانى »[1] .

من التعريف السابق نرى أن الأدب المقارن فى ثوبه الفرنسى الجديد قد اتجه إلى الفلسفة والنقد لفهم النص الأدبى ، فقد أصبح الأدب المقارن غايته النص الأدبى من خلال الاستعانة بالتاريخ والفلسفة والنقد وعلم اللغة وهذا الاتجاه كفيل بإخراجه من أزمته ، واستمرار بقائه فرعا نشطا من فروع الدراسات الأدبية .

ومن أهم الدارسين الفرنسيين الذى صححوا مسار الاتجاه الفرنسى المحافظ « رينيه اتيامبل » فقد عارض بشدة المنهج التاريخى وأيد المنهج التطبيقى الذى يدرس النص ويقارنه بغيره ، دون شعصب للآداب الغربية ، ولذلك أطلق عليه أصحاب الاتجاه الفرنسى التقليدى « الطفل الشارد » لأنه دعا إلى تناول آداب أخرى غير الآداب الغربية مثل آداب الشرق الأقصى كالصين واليابان ، والانتقال إلى مباحث جديدة تسمح بالمقارنة مع عدم وجود التأثيرات وهى المعروفة بدراسة التوازى ولعل إيتامبل تأثر بالمقدمة التى كتبها « لانسون » فى تاريخ الأدب حيث رأى « إن الدارس الذى يكتفى بالتطبيق الحرفى للمنهج المنظم سوف يكون مدرساً رديئاً للأدب ، لايستطيع أبداً أن يطور لدى تلاميذه على وجه خاص - تذوق الأدب ، كما أن أحداً من المعلمين لايستطيع أن يعطى لدروسه هذه الفعالية ، إذا لم يكن هاويا قبل أن يكون عالما »[2] .

ومن ثم يرى إيتامبل أن أولئك الذين يبالغون فى إتباع الهيكل الخارجى للمنهج قد يجدون أنفسهم بعيدين عن مجال الدراسات الدراسة الحقيقية

---

(١) رجاء عبد المنعم جبر - المرجع السابق ص ٥١ .

(٢) انظر : دكتور أحمد رويش : الأدب المقارن ص ٢٣ .

للأدب فى الوقت الذى يجدون أنفسهم وضعوا أيديهم على واسطة محددة أو صلة مباشرة . وبذلك يكون إيتامبل قد سار فى خط موازٍ للاتجاه الأمريكى الذى يدخل النقد الأدبى ودراسة النص والتذوق الأدبى فى الأدب المقارن وهذا ماسنعرض له الآن .

١ ـ ٢ ـ المفهوم الأمريكى للأدب المقارن :

ينبغى أن نلاحظ ـ منذ البداية ـ مايأتى :

١ ـ أن الأدب المقارن فى أمريكا كان يتميز بطابع خاص وأسلوب معين الأمر الذى حدا بمعظم الباحثين أن يطلقوا على ذلك اللون الأمريكى اسم المدرسة الأمريكية فى مقابلة مايدعى باسم المدرسة الفرنسية ، وقد أوضحنا وجهة نظرنا فى هذا التقسيم عند التعرف بين المدرسة والاتجاه .

٢ ـ أن الاتجاه الأمريكى ينظر إلى الآداب نظرة كلية شاملة عن طريق المقارنة بينها وتصنيفها والبحث فى أسباب نشوئها وتطورها .

٣ ـ أن الأدب المقارن فى أمريكا نما وتطور فى أقل من جيل واحد نموا يثير الإعجاب ويبعث على الدهشة ، وانتشر فى حوالى أربعين جامعة متفرقة فى أنحاء البلاد .

وكان أول من أدخل الأدب المقارن الجامعات الأمريكية هو القس تشارلز شاكفورد Shacford الذى شغل كرسى الأدب العام فى جامعة كورنيل Cornell . وكان أول كرسى للأدب المقارن فى الولايات المتحدة فى جامعة هارفارد عام ١٨٩ وكان أول من شغله الأستاذ آرثر مارش Marsh وقد وصف طريقة تناوله للأدب المقارن بقوله : « أن الأدب المقارن مازال فى دور النظريات التى لم تتبلور بعد فى صور نهائية حاسمة وأنه محدد فى مدى فاعليته ، وأنه يتناول الأدب باعتباره كلا شاملا يقارن بين الآداب ويضعها فى مجموعات ويبحث فى أسباب نشوئها والنتائج المترتبة عليها[1] .

(١) انظر : شوقى السكرى المرجع س ٣٣ .

وقد كانت دراسة الأدب المقارن فى أمريكا مختلطة بالأدب العام حتى العشرينيات من القرن العشرين ، وبعدها أعطى منهجه الخاص وأصبح علما قائما بذاته وأدرج فى المنهج المقرر على طلبة المدارس والكليات والجامعات ،

ظهر فى عام ١٩٤٩ أول عدد من مجلة الأدب المقارن وفى سنة ١٩٥٠ ظهرت أول قائمة لكتب المراجع اللازمـــة لتلك المادة وفى سنة ١٩٥٢ ظهر المجلد الأول من حوليات الأدب العام والأدب المقارن ، وفى سنة ١٩٥٤ تشكلت الرابطة الدولية للأدب المقارن ، ثم توالت بعد ذلك الكتب والمجـــلات والمؤتمرات الدولية التى أظهرت تتميز الاتجاه الأمريكى وسرعة تطوره ، ويعزى هذا النمو العظيم لوجود بعض العوامل المشجعة التى توافرت له ـ ومن أهمها :

اشتراك الأفراد إلى جانب الحكومة فى القيام بشئون التعليم ، وتشجيع التجديد ورفض التقليد والروتين فى البحث العلمى ، واختفاء الأفكار المسبقة عن الشعوب الأخرى ، والموقع المتميز بين أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية وسرعة البحث وتوافر الإمكانات وجاذبية الجديد .

ونحن نرى إلى جانب ذلك ـ أن الاتجاه الأمريكى تم بهذه السرعة لأنه وجد ميراثا معدا من المدرسة الفرنسية فبنوا عليه أو عدلوا منه وطوروه ، فهم لم يبدأوا من فراغ وإنما انتفعوا ـ من غير شك ـ بمن سبقهم فى هـــذا المضمار من الفرنسيين والألمان .

وقد استحدث الاتجاه الأمريكى مناهج جديدة وطرق متطورة حتى تبدو أكثر مرونة من الاتجاه الفرنسى يتجلى ذلك فى تحديد مفهوم الأدب المقارن على يد أبرز أعلامه هنرى ريماك Remak فيقول .

« الأدب المقارن هو دراسة الأدب فيما وراء حدود بلد واحد معين ، وهو دراسة العلاقات بين الأدب من جانب ، وفروع المعرفة والمعتقدات

كالفنون . . . والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية والدين . . . إلخ من جانب آخر أو بعبارة موجزة هو مقارنة أدب أو آداب أخرى وهو مقارنة الأدب بمجالات أخرى من التعبير الإنسانى(١) .

من الملاحظ أن هذا المفهوم يحاول أن يوسع من مجال الأدب المقارن عن طريق تقديم مفهوم أوسع العلاقات بين الأدبية من ناحية ، وعن طريق توسيع نطاق المقارنة لتشمل العلاقات بين الأدب والمجالات الأخرى للتعبير الإنسانى من ناحية أخرى .

وهذا المفهوم الواسع للأدب المقارن يتيح للباحثين أن يتأملوا الآداب كلها - فى حرية - من العصور القديمة حتى القرن العشرين ويمنح كل ثقافة أجنبية قدرا متساويا من التعاطف ، إلا أنه تحديد لايخلو - من وجهة نظر المقارنين الفرنسيين - من التعميم والتفسير المضلل ، كما أنه لايتسم بالوحدة المتكاملة إذ يظهر فيه طابع الازدواجية ، ذلك أن الأدب المقارن حسب هذا المفهوم هو أولا : المقارنة بين الآداب وهو ثانيا مقارنة الأدب بغيره من وسائل التعبير الإنسانى . وهذه الازدواجية تؤدى إلى تكوين مفهومين لا مفهوم واحد(٢) للأدب المقارن .

ومن أعلام الاتجاه الأمريكى البارزين رينيه وليك Wellk الذى قاد حملة من الهجوم الفرنسى فى مقال له بعنوان « أزمة الأدب المقارن » والذى ألقى فى مؤتمر الرابطة الدولية المقارن عام ١٩٥٨ وهو يرى أن العالم يعانى أزمة لازمته فى البحث الأدبى منذ عام ١٩١٤ وقد وقد ظهرت فى الأدب المقارن من هذا التاريخ :

فى إيطاليا كان كروتشه ، وفى ألمانيا كان دلتاى وفى فرنسا كان

---

(١) عبد الحكيم حسان المرجع السابق ص ١٦ .

(٢) Aronaud Nivelle :
Wo zv Aergleicnde Litsratur Misseschajt, S. 178

فان تيجم[1] وانتقد فان تيجم الذى حاول إقامة الأسوار المصطنعة بين الأدب المقارن والأدب العام لأن التاريخ الأدبى والبحث الأدبى يتناولان موضوعا واحد هو الأدب والرغبة فى حصر الأدب المقارن فى دراسة التجارة الخارجية معناه حصر اهتمامه بالخارجيات لأن التاريخ الأدبى الذى يحصر همه فى تتبع تاريخ المواضيع الأدبية لابد من أن ينتهى إلى طريق مسدود ، كما نعى عن المدرسة الأوربية أنها لم تتعد حدود القومية الضيقة إلى الإطار العالمى الشامل فقد فشل دارس الأدب المقارن أن يعمل كوسيط بين الشعوب وكمصلح لذات بينها بسبب المشاعر للقومية الملتهبة التى سادت فى تلك الفترة وفى ذلك الموقع، فقد كان الدافع الوطنى يكمن خلف العديد من دراسات الأدب المقارن فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرها مما أدى إلى نظام غريب من . مسك الدفاتر، الثقافية ، وإلى الرغبة فى تنمية مدخرات أمة الباحث عن طريق إثبات أكبر عدد ممكن من التأثيرات التى أثرتها أمته على الشعوب الأخرى ، أو عن طريق إثبات أن أمة الكاتب قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء وفهمته أكثر من أى أمة أخرى » .

كان وليك يدعو إلى الحرية فى دراسة الأدب دون حدود لغوية أو قيود مكانية فليست هناك حقوق ملكية ، ولا مصالح معترف بها فى البحث الأدبى . . وتبلغ به للثورة مداها على القيود المحكمة التى وضعها الفرنسيون على طريقة البحث فى الأدب المقارن وتحديده مجال الدراسه فيه فيقول : « أما ملك المقاطعات المسورة التى تحيطها إشارات « ممنوع الدخول » فلابد من أن العقل الحر يكرهها وهى لا تنشأ إلا ضمن حدود المنهجية البالية التى دعا إليها ومارسها منظرو الأدب المقارن المعتمدون من الذين اعتبروا أن الحقائق تكتشف مثلما تكتشف قطع الذهب التى تغرى مكتشفيها بإدعاء حق التنقيب عنها فى مناطقهم المنتقاة » .

---

(١) رينيه وليك المرجع السابق ص ٣٦٨ .

ورأى وليك أن تتعاون علوم أدبية أخرى فى دراسة الأدب المقارن مثل علم النقد وتاريخ الأدب على أن يكون البحث الأدبى المتمثل فى دراسة النص هو البؤرة الضرورية التى يركز الباحث المقارن على دراستها ، لأن العمل الفنى هو كل من عناصر مختلفة .

وإذا كان وليك قد أخذ على المدرسة الفرنسية عدم وضوح المنهج وعدم تحديد الموضوعات ، وانحصار البحوث فى الدراسة الآلية للمصادر والتأثيرات ، والأسباب التى أدت إلى ظهور عمل أدبى ، ولكنها أغراض لا تمس جوهر الأدب ، وتدخل العوامل القومية والاعتبارات الإقليمية فى البحث ، فإن أنصار الاتجاه الفرنسى يرون أن هـــذا النقد يركز على الجانب الأضعف للمناهج التى انتهت إليها الخمسون سنة الماضية ، ولا يعترف بالمنجزات الإيجابية التى حققها المقارنون فى تلك الفترة ، ويحـــاول الدكتور رجاء عبد المنعم جبر انصاف الاتجاه الفرنسى الذى تناوله وليك بالهجوم فيقول: الواقع أن التطبيق فى الأدب المقارن قد سبق المنهج بمسافة بعيدة . وأعمال كبار المقارنين شاهد على ذلك ، كما أن الرواد من المدرسة الفرنسية لم يكونوا على رأى واحد فيما يتعلق بالمنهج ، فقد كان فان تيجم يشجع على دراسة الموضوعات مع أنه يراها أقل أهمية من المصادر والتأثيرات ، على حين كان هازار يستبعدها[1] .

ونحن نرى أن الحدود الفاصلة القاطعة بين الاتجاه الفرنسى المتحرر والاتجاه الأمريكى تكاد تكون معدومة فالاتجاهان وإن بدا كل منهما ذو منهج خاص وأسلوب مغاير إلا أنهما ـ فى الواقع يسيران فى اتجاه متقارب بل كثيرا ما يلتقيان ويتفقان فالنزعة القومية التى استنكرها الأمريكيون على الفرنسيين والتى عدوها من مخلفات القرن التاسع عشر ، تورط فيها ـ كذلك ـ الأمريكيون بطريقة تغـــاير ـ شكلا ـ الطريقة الفرنسية وتتمثل فى نظرة

(١) رجاء عبد المنعم جبر : المرجع السابق ص ٣٠ .

الأمريكيين الخاصة إلى التراث الأدبي الغربي بوصفه منطقة مميزة بذاتها في نطاق الدراسة المقارنة ، ويظهر ذلك واضحا في المنهج الذي أعده الأمريكيون لدراستهم في الأدب المقارن فقد كان المنهج في مجمله لا يتعدى - إلا في القليل منه - نطاق الأدب الغربي .

كما لم يستطع الأمريكيون التفريق الواضح بين مفهوم الأدب العام ومفهوم الأدب المقارن مما أوقعهم في الخلط الذي كانوا قد عابوه على المدرسة الفرنسية وعلى الأخص على فان تيجم .

وعلى كل حال فقد - نشأ في الوقت الحاضر - تقارب بين المحدثين الأمريكيين والفرنسيين فدعا الجميع إلى المزاوجة بين الدراسة التحليلية والدراسة التاريخية ودراسة العلاقة بين الأدب وفنون التعبير الأخرى وفروع المعرفة والمعتقدات والعلوم والدين ويلح على الاعتراف بالدور الرئيسي للنقد في أي دراسة مقارنة وشمل التاريخ وعلوم النفس والاجتماع ودخل فيه المنهج التاريخي والتوليدي والإحصائي والأسلوبي .

٣ — دراسات الأدب المقارن في مصر : وصلتها بالاتجاهات العالمية :

رأينا أنه قد نشأ الأدب المقارن في أوربا نتيجة للإيمان بفكرتين : الأولى إثراء الأدب القومي من خلال رؤية الآداب الأخرى . والثانية الإيمان بالنسبية وهي فكرة تعتقد بأن هذا العالم الذي نعيش فيه لا يمكن فهم الظواهر التي توجد فيه فهما سليما إلا إذا وضعت في إطار النسبية ، بمعنى أن الأدب كغيره من الظواهر الفكرية - أمر نسبي بالقياس إلى غيره من الآداب الأخرى .

ولما كانت أوربا آمنت - منذ القرن التاسع عشر - وهو القرن الذي ظهر فيه دراسة الأدب المقارن - بهذه الأفكار فقد أدى ذلك إلى قيام العلم على هذه الأسس التي أسسها ومارسوها فعليا في كتاباتهم .

وفى مصر وجد رجال آمنوا بتلك الأفكار من خلال الرؤية عن قرب للعالم الغربى ، فرأوا أنه يمكن أن يطبق على الأدب العربى فأدى بهم ذلك إلى البحث عن الصلات بين الظواهر الحضارية بصفة عامة ، والأدب بصفة خاصة .

وإذا تأملنا الروابط الفكرية والأدبية ـ فى بداية القرن التاسع عشر بين مصر والعالم الغربى ، بدأ لنا أن الدراسات المقارنة فى مصر مرت بمرحلتين :

٣ ـ ١ ـ المرحلة الأولى : مقارنة الحضارات :

وكانت محاولة أولية مبكرة فى القرن التاسع عشر اتخذت طابع الموازنة بين الحضارات والآداب وتمكسها بوضوح كتابات رواد النهضة فى القرن الماضى من أمثال رفاعة الطهطاوى(١) .

تناول رفاعة الطهطاى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) فى كتابه « تخليص الإبريزفى تلخيص باريز » الظواهر الحضارية بين مصر وفرنسا بالمقارنة من خلال مبدأ النسبية ، ومن هنا أخذت روح الأدب المقارن تبرز فى معالجته لبعض المسائل التى ترتبط بقضية مماثلة أو مخالفة موجودة فى الحياة الفرنسية والأدب الفرنسى . وقد تناول الطهطاوى فى موازناته المسائل الآتية :

أولا : الأدب :

وازن بين بعض الأنواع الأدبية فتعرض لقضية الشعر فى كل من الأدب العربى والفرنسى ، ورأى أن لكل أمة نظامها الشعرى الخاص بها ، كما أشار إلى أن الفرنسيين لا يكتبون العلوم نظما كما يفعل العرب ، وأعلن أن ترجمة الشعر العربى أو الفرنسى تذهب بكل جمال شعرى . كما لاحظ أن الفرنسيين

---

(١) انظر : عطية عامر : تاريخ الأدب المقارن ، مجلة فصول ، المجلد الثالث العدد الرابع لسنة ١٩٨٣ ص ١٣ .

لا يتغزلون بالخمر ولا بالمذكر كما يفعل العرب ، كما رأى أن لكل لغة أسلوبها وموسيقاها ، وأن معرفة العروض ليست كافية لقرض الشعر . وخلص إلى أن الأدب يختلف من أمة إلى أمة أخرى نتيجة لاختلاف الجنس .

ثانياً : اللغة :

رأى رفاعة أن لكل لغة قواعدها الخاصة بها وذلك لدفع الخطأ في القراءة والكتابة وقرر أن سهولة الفرنسية أعانت الفرنسيين على تحقيق التقدم في العلوم والفنون وأن العربية لم تصل إلى هذه السهولة ، وعناصر السهولة في رأيه هي : تبسيط قواعد اللغة ، والتحديد والوضوح ، ووضع المصطلحات لكل علم ، ووضع كل علم في إطاره الخاص به . ولاحظ أن الفرنسية لا يمكنها تصريف الأفعال كما في العربية .

ثالثاً : الظواهر الحضارية :

لم يقف رفاعة عند الظواهر اللغوية والأدبية ، وإنما وازن كذلك بين الظواهر الحضارية الأخرى : الثقافية والاجتماعية والسياسية وهو ما أطلق عليه « التمدن الحقيقي » وكان يهدف إلى عرض اصطلاحي عن طريق تجسيم مظاهر القوة والضعف بين المجتمع الفرنسي والمجتمع المصري رغبة في تطوير المجتمع المصري وتقـــدمه فرأى أنه يجب الاتصال المباشر بثقافة الأمم المتحضرة من خلال المعايشة كما يجب التمكن من لغات الأمم ولذلك أنشأ رفاعة بعد عودته من فرنسا سنة ١٨٣١ مدرسة الألسن لترجمة العلوم والفنون الأجنبية ، وترجم هو بنفسه كثيرا منها ويرى أن الترجمة من الفنون الصعبة وخصوصا ترجمة الكتب العلمية لأنها تحتاج إلى معرفة اصطلاحات العلوم المراد ترجمتها(١) .

كان رفاعة الطهطاوي ظاهرة عظيمة وضعت الأدب المقارن في بدايه

---

(١) رفاعـــة رافع الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز ص ١٢٤ ط دار الكتب المصرية .

الطريق من خلال المقارنة المباشرة فى اللغة والأدب والحياة بين أمتين : العربية والفرنسية فكان بهذا أشبه بمدام دى ستال عندما قارنت بين مظاهر الحياة فى كل من ألمانيا وفرنسا واستطاعت بذلك أن تنبه الشعب الفرنسى إلى ما فى ألمانيا من أفكار جديدة ، كذلك استطاع رفاعة أن يلفت نظر الأدباء والنقاد إلى المقارنة بين الآثار الأدبية واللغوية فى الآداب العربية والفرنسية .

٣ ـ ٢ ـ المرحلة الثانية مقارنة الآداب :

بدأت هذه المرحلة بصورة أكثر عمقا وشمولا وتنوعا من سابقتها . كان ذلك فى النصف الأول من القرن العشرين حيث أرسلت البعثات إلى أوربا فتكون جيل جديد يخالف جيل رفاعة الذى كان إماما للبعثة المصرية فى باريس .

عاصر الجيل الجديد نهضة الأدب المقارن فى جامعة ليون (أنشئت عام ١٨٩٦) ، وجامعة السربون (١٩١٠) وعرف اللغات الفرنسية والإنجليزية واليونانية فأنتج فى الأدب المقارن ما يمكن أن يقال عنه بدايات طيبة ولكنها سارت على خطوات أهمها ما يأتى :

الخطوة الأولى :

بدأها أحمد ضيف (١٨٨٠ ـ ١٩٤٥) حيث أعلن أنه لا بد لمدرس البلاغة من الملاحظة الصحيحة والموازنة والمقارنة وأكد أن مدرس تاريخ الأدب لا بد له من الموازنة والمقارنة ، وذلك لا يتحقق إلا إذا تمت بين الأدب العربى وغيره من الآداب أى خرجت عن نطاق الأدب العربى .

وقد طبق أحمد ضيف ذلك كله فى كتابه : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، حيث تعرض لدراسة النقد فى فرنسا وقارن بينه وبين النقد العربى ، فقرر أن النقد الفرنسى خضع للمؤثرات الأجنبية وكان نتيجة للاطلاع على كتب اليونان القديمة ، وعلى آثار النهضة الأوربية بهدف تقويم العقول وتطوير الأفكار ، وأن النقد فى فرنسا تحليلى وأنه مبنى على فلسفة خاصة .

أما النقد العربي فقد كان — في رأيه — بعيدا عن كل تأثير خارجي فلم يأت من الاطلاع على مؤلفات أجنبية ، والغرض منه شرح الشعر العربي فهو نقد بياني ، هدفه إرشاد الكتاب والشعراء إلى الطريقة المثلى في الأساليب وصناعة الكلام ، ولم يقم على فلسفة خاصة به .

وأعلن أحمد ضيف أننا لا يمكن أن ننهض بلغتنا إلا إذا دفعناها إلى التحرك من مكانها الذي طال وقوفها فيه ، لتأخذ مكانا يليق بها بين اللغات الحية .

الخطوة الثانية :

وهي التطبيق المقارن بين الأدب العربي والأدب الانجليزي وظهرت بشكل جيد في مقالات في مجلة الرسالة في الفترة من يناير ١٩٣٥ إلى ديسمبر ١٩٣٦ حيث كتب الأستاذ فخري أبو السعود الذي كان يعمل مدرسا للغة الإنجليزية في التعليم الثانوي — عدة مقالات نقدية مستعملا مصطلح : « في الأدب المقارن » فكان بذلك أول من أدخله إلى الأدب العربي . ولهذه المقالات أهمية كبيرة ، فقد طرحت في الحياة الأدبية المصرية مفهوما جديدا للأدب المقارن يقوم على الموازنة النقدية بين أدبين مختلفين في اللغة والتقاليد ، متخطيا النظرية إلى التطبيق .

وتناول فخري أبو السعود في مقالاته كثيرا من الموضوعات مثل : الظواهر المتماثلة بين الأدبين العربي والإنجليزي ، والخيال والمرأة ، والقول المكشوف ، والأثر الأجنبي ، والثقافة ، والفكاهة ، وأسباب النباهة والخمول ، والطبيعة ، وأثر الدين والخرافة ، وشخصيات الأدباء ، والنقد وأثر نظام الحكم وعرض الأدب ، وأثر الترف في إبداع الأدباء مع التمثيل لكل ذلك من الأدبين العربي والإنجليزي .

كان فخري أبو السعود في دراسته تلك ناقدا لا مؤرخا ، ومعنى ذلك أنه كان يرى أن الأدب المقارن جزء من النقد الأدبي ، وليس جزءا من تاريخ

الأدب ومن ثم نرى أنه قد طبق مفهوما معاصرا للأدب المقارن ، وسبق به الاتجاه الأمريكى الذى ظهر ابتداء من عام ١٩٤٩ .

الخطوة الثالثة : الدراسة الأكاديمية :

ربما كانت كلية دار العلوم جامعة القاهرة من أسبق المعاهد العلمية التى دخلها الأدب المقارن منذ عام ١٩٣٨ فقد نصت لائحتها الداخلية على أنه من الواجب دراسة الآداب الأجنبية فى السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة كما نصت اللائحة على أن تدرس مادة الأدب العربى المقارن فى فرقة التخصص ثم نص المجلس الأعلى لدار العلوم فى أكتوبر ١٩٤٥ على أن يصبح الأدب المقارن مادة مستقلة تدرس فى السنتين الثالثة والرابعة وأن يصير فرعا من قسم يحمل اسم ، قسم الأدب المقارن والنقد والبلاغة ، وتولى رئاسة هذا القسم الدكتور إبراهيم سلامه وعاونه فى هذا التدريس عبد الرزاق حميدة .

ويمثل الدكتور إبراهيم سلامة مرحلة هامة من مراحل دراسة الأدب المقارن فى مصر حيث وضع حجر الأساس فى نظرية الأدب المقارن وحدد معالمه على أساس علمى وأشار إلى الموضوعات التى يجب على الباحث دراستها وشرح النظريات الغربية التى أفاد منها دارسوا الأدب المقارن . كان ذلك فى كتاب له بعنوان : تيارات أدبية بين الشرق والغرب ـ خطة ودراسة فى الأدب المقارن .

وهذا الكتاب يعتبر الكتاب الرائد فى التأليف فى نظرية الأدب المقارن ، تحدث فيه عن مكانة الأدب المقارن ، وعن العناصر المكونة له ، والاعتبارات المعوقة لتقدمه والقوانين التى تحكم مسيرته .

وكان يهدف من كتابه هذا أن يكون عونا للطلاب الذى يجدون صعوبة فى تلقى هذه المبادىء الجديدة بحكم قلة زادهم من اللغات والآداب الأجنبية ، وكذلك لمدرسى العربية بالمدارس الذين فرض عليهم فى تلك

الفترة كتاب « التوجيه الأدبي » من تأليف الدكتور طه حسين .

يعرف الدكتور سلامة الأدب المقارن بأنه « دراسة التيارات الأدبية فى مختلف النواحى وبيان أخاديدها ومسايلها والعوامل التى تعمل على دفع هذه التيارات ، والعوامل الأخرى التى تغير مجراها »(١) .

وحاول كذلك أن يحدد الفرق بين الأدب ، وتاريخة فرأى أن أنسب تعريف للأدب هو « فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، فالأدب الحقيقى — كما يراه هو — ماجمع العناصر الثلاثة : الفكرة والصورة والعاطفة وزواج بينها ، ويرى أن مهمة تاريخ الأدب هى جمع الآثار الأدبية التى تحتوى على العناصر الثلاثة ودراسة حياة الأدباء وما تأثروا به وأما دراسة هذه من حيث علاقاتها بعضها ببعض أو من حيث نشاتها واتجاهاتها فهى مهمة الأدب المقارن .

ويرى أن عوامل دفع الأدب المقارن هى النقل من لغة إلى لغة أخرى عن طريق الترجمة التى تعتبر الوسيلة الأولى للأدب المقارن أما عوامل إعاقة الأدب المقارن — كما يراها الدكتور إبراهيم سلامه — فهى فى ذاتية الأدب وفى فهم فكرتى العبقرية والأصالة ، فالعنصر الذاتى فى الشعور الأدبى خاص بطبيعته وهو الذى يعطى للعمل الأدبى قيمته وتميزه . والعبقرية تفرض التفرد والوحدانية وهو بهذا يرى ما يراه كروتشه الناقد الإيطالى الذى يرى أن العمل الأدبى فكرة خلاقة خاصة بكاتبه وغير قابل للتكرار غير أن الدكتور سلامه يرى أن الدراسة المقارنة ضرورية لفهم الأدب بطريقة أفضل ، فدراسة فولتير مثلا لاتتم على الوجه الأكمل بدون التعرض لدراسة شكسبير .

ويرى — كذلك — أن الادب المقارن علم يحتاج إلى نظرية وكثيرا ماتقدم

---

(١) رجاء عبد المنعم جبر المرجع السابق ص ٤٣ .

بنظرياته على العلوم الأخرى : مثل علم الاجتماع والنفس ، والتاريخ وقد استفاد المقارنون الغربيون فى دراسة الأدب المقارن من تلك العلوم ، فنظرية مدام دى ستال ترى دراسة الأدب على هدى التقلبات السياسية والاجتماعية والتقدم الاقتصادى ، ودراسة الفكر فى إطار الآلام والآمال الإنسانية على مستوى الأمم المختلفة .

ونظرية تين تقوم على الاتجاه التاريخى فى الأدب والنقد وتفسير الأدب فى ضوء العوامل الثلاثة : الجنس . والبيئة الزمانية ، والمكانية ، ونظريه برونتيير تقوم على تطور الأنواع الأدبية وتوالد بعضها من بعض ، وتدرجها فى النمو مثل الكائن الحى : الطفولة ، والشباب ، ثم الشيخوخة .

ونظرية سانت بيف تدعو إلى الحياد التام فى النقد وحرية الاختيار بين المذاهب والتخلص من النزعة الذاتية فى النقد .

كما تعرض ـ الدكتور سلامه ـ إلى شرح نظرية التقليد ونظريه تلاقى المدنيتين ، فيرى أن التقليد ينحدر من الأعلى إلى الأدنى ويندفع حاملا الجدة والمستحدات ليؤثر فى التقاليد ويهاجمها فالأمة لا تقلد إلا ما ترغب فيه وما يوافق عقائدها ، ولا تقف موقف المقلد إلا من أمة تفوقها فى الثراء الفكرى ، والتقليد ينجح فى زحزحة التقاليد الثابتة بما يستخدمه من تيار الجدة والاستحداث وهذه تعمل عملها فى بطء ومثابرة ، مستخدمه سلاح الإقناع وحرية الاختيار .

وأما تلاقى المدنيتين فيرى أنه عبارة عن تلاقى مدنيتين بعد فراق طويل حدث خلاله أن تطورت إحداهما وبقيت الأخرى على حالها أو تخلفت . ويرى الفائزون أن المدنية التى ضعفت بعد قوة لا تندفع إلى تقليد الأخرى التى تقدمت وإنما تريثت فى أول الأمر وتبدى قدرا من المقاومة ويستمر ذلك إلى أن تبدأ المدنية القوية خطوة التقرب نحو الضعيفة وهنا تبادلها نفس المسلك ، فيلتقيان وينتج من التقائهما مزيج واحد لمدنية واحدة . ويرى

المؤلف أن هذا القانون ثبت صلاحيته فى الدراسات المقارنة مثل التقاء مدنية العرب مع المدنية الأوربية الحديثة ، والتقاء الأوربية مع المدنية العربية فى القرن الثامن والتاسع الميلادى .

وبعد فقد كان كتاب الدكتور إبراهيم سلامه من الكتب الهامة التى أرسلت نظرية الأدب المقارن من حيث توضيح المفهوم وتحديد الموضوعات وعرض النظريات وشرح القوانين فهو بهذا سابق فيما اشتمل عليه من موضوعات والذى حال دون شهرته هو ظهور كتاب الدكتور محمد غنيمى هلال والذى به تم الانتقال إلى مرحلة الدراسة المنهجية العلمية .

* الخطوة الرابعة :

تمثل نوعا من الدراسة التطبيقية التى اتخذت شكل مقارنات حينا وشكل موازنات حينا آخر . وقد قام بها فى كلية دار العلوم الأستاذ عبد الرازق حميده فى كتابه الذى ظهر عام ١٩٤٩ بعنوان « فى الأدب المقارن » وذكر فيه تعريفا واسعا للأدب المقارن وهو : دراسة العلاقات بين الآداب وهذه العلاقات تشمل - فى رأيه - تأثير أدب فى أدب وتأثير أديب بأديب . وأخذ عصر عن عصر ، وتشابه حركات أدبية أو تباينها ، ونهوض مدارس أدبية مختلفة أو متشابهة فى أزمنة ولغات متعددة وسيطرة بعض العوامل وتأثيرها(١) فى الآداب على اختلاف عصورها أو بيئاتها ومدى هذا كله .

فهو يدرس العلاقات الأدبية على مستويين :

مستوى داخلى فى إطار الأدب القومى . ومستوى خارجى بين الأدب القومى وبين غيره من الآداب الأجنبية .

فهو يعقد مقارنة إذا وجد تشابه فى الموضوع أو الفن الأدبى أو الأساليب أو الظروف الداخلية والتى لها صلة بتكوين الأديب .

---

(١) عبد الرازق حميدة : فى الأدب المقارن ص ٣٧ .

وقد اختار عبد الرازق حميدة تسعة موضوعات طبق عليها منهجه منها ما كان فى الموازنة مثل موضوع بين المتنبى وحبدونه . فهو موازنة بين موضوعين فى إطار الأدب العربى ، ومنها ما كان فى المقارنة مثل المقارنة بين الأدباء الذين وجدت بينهم ظروف متشابهة مثل نقد البصر بالنسبة لبشار وأبى العلاء المعريين ، وملتن الإنجليزى ومنها ما كان فى إطار الأدب المقارن بين المعرى ودانتى .

وقد أخذ عليه أنه خلط بين الموازنة والمقارنة ، لفقد أنه شرط المقارنة من وجهة نظر الذين يشترطون اختلاف اللغات بين الأدبين موضوع المقارنة والواقع أن الأستاذ حميدة قد فهم المقارنة بمعناها الواسع الذى يشمل الموازنة والمقارنة والنقد الأدبى .

٣ - ٣ - مرحلة الكتابة المتخصصة فى الأدب المقارن:

سادت المدرسة الفرنسية كل أوربا فى الأدب المقارن وذلك لما للفرنسيين من مقدرة فائقة على نشر أفكارهم خارج حدود بلادهم واهتمامهم الشديد بنشر الثقافة الفرنسية لاعتقادهم بتميزها ، وكان لتلك الثقافة تأثيرها - كذلك - فى اتجاه الأدب المقارن فى مصر فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، وذلك للصلة القوية بين مصر وفرنسا .

ولما أراد القائمون على الثقافة فى مصر إثراء المجال الأدبى أرسلوا النابغين من أبناء الوطن إلى فرنسا فى بعثات دراسية وكان الدكتور محمد غنيمى هلال أول جيل المتخصصين الذين أوفدوا إلى فرنسا الدراسة فى هذا المجال. ثم عاد من بعثته سنة ١٩٥٢ بعد الحصول على الدكتوراة فى موضوعين مقارنين هما : تأثير النثر العربى على النثر الفارسى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وموضوع هيباتيا - الفيلسوفة المصرية - فى الأدبين الفرنسى والإنجليزى من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين .

وتوفرت لدى الدكتور غنيمى هلال كل عوامل النبوغ للدراسة المقارنة

فقد أتقن الفرنسية والإنجليزية والأسبانية والفارسية ، كما تتلمذ على يد « جان ماري كاريه » ، وهو من عمد المدرسة الفرنسية الأدب المقارن، وكانت الفترة التي أوفد فيها فترة ازدهار تلك المدرسة ، ولما عاد وجد المناخ الملائم من تشجيع الدولة وإقبال الدارسين على البحث وحب القراءة في هذا المجال .

كتب الدكتور غنيمي هلال كتابه « الأدب المقارن » عام ١٩٥٣ سالكا فيه المنهج الفرنسي التاريخي وحدد فيه معالم الطريق التي سار فيها حتى وفاته عام ١٩٦٨ . وقسم ميادين البحث في الأدب المقارن إلى سبعة : عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة ، الأجناس الأدبية ، الموضوعات بحوث المصادر والتأثير ، التيارات الفكرية ، ثم صور البلد في أدب أمة أخرى .

وأكد الدكتور غنيمي هلال على استبعاد الموازنات من ميدان الأدب المقارن تلك التي تعقد بين كتاب من أدب واحد أو من آداب مختلفة ، ولم تتحقق بينهم صلات تاريخية ، وينعى في نبرة جهيرة على من قاموا بذلك زاعمين أن عملهم من الأدب المقارن .

ويؤكد - كذلك - على دراسة الأفكار الأدبية والأجناس والتيارات الفكرية وليس الاقتصار على الجوانب الفردية في الإنتاج .

واستطاع الدكتور غنيمي هلال تأسيس ما يمكن أن يسمى مدرسة نقدية مقارنة تقوم على المدرسة الفرنسية في اتجاهها ودراستها التاريخية .

وفي الخمسينيات من هذا القرن توالى الدارسون للأدب المقارن وكانوا جميعا على امتداد للخط الفكري الذي بدأه غنيمي هلال ، ففي عام ١٩٥٧ حصل كل من أنور لوقا وعطية عامر على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة باريس ، وتتلمذا أيضا على جان ماري كاريه ، وهو يعتبر الأستاذ لهذا الجيل من المصريين الذين تخصصوا في الأدب المقارن في تلك الفترة .

وفي أواسط الستينات ظهر جيل جديد يمثل تنوعا في الاتجاه فيسمح بمقارنة النصوص المتشابهة على أساس نقدي صرف وهو ما تقول به الدراسة

الأمريكية ، فقد وجدت لها فى مصر فى الآونة الأخيرة اتباعا من الدارسين والباحثين الذين شايعوها وساروا على نهجها .

أما فى الأزهر الشريف فقد تولى تدريس هذه المادة - فى أوائل الخمسينات - الدكتور الشيخ محمد الفحام بعد عودته من السربون ثم الأستاذ مخد البحيرى أحد أساتذة كلية اللغة العربية ثم توالى الأساتذة من أبناء الأزهر تدريس هذه المادة والتأليف فيها ومنهم الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الذى كتب « دراسات فى الأدب المقارن » (من جزأين) والأستاذ الدكتور حسن جاد فى كتابه « الأدب المقارن » ثم أخيرا الأستاذ الدكتور السيد العراقى فى كتابه « الأدب المقارن » .

هذا ولا يزال الأدب المقارن فى مصر يعانى من صعوبات جمة ويواجه تحديات كبيرة تتعلق بقلة المصادر ، وركود حركة الترجمة ، والضعف فى اللغات الأجنبية ، وعدم الاستقرار المنهجى ، واختلاف اتجاهات وثقافات الدارسين والمعاهد العلمية .